تنمية الخيال لدى الطفل

د. سمر سامح محمد محمد
مدرس المناهج وطرق التدريس
كلية التربية ـ جامعة حلوان

مفهوم الخيال:

لقد وهب الله (سبحانه وتعالى) الإنسان الخيال الذى يمنحة القدرة على تصور ما لا وجود له، والقدرة على الإبداع والابتكار، والخيال جزءٌ من تكوين البشر وقوتهم؛ فمن يملكه مَلَكَ العلم والتكنولوجيا والمستقبل الأفضل، فالخيال إحدى المَلَكَات التى تسعى الدول لتنميتها لدى الأفراد؛ ليكونوا قادرين على الإبداع وبناء المستقبل، وقد اهتم علماء النفس بالخيال كمهارةٍ يمكن تنميتها لدى المتعلمين فى المراحل التعليمية المختلفة؛ لأهميته فى مساعدة المتعلم على التكيف مع عالمه الخارجى، والتنبؤ بالحلول الممكنة للكثير من المشكلات، وتخفيف مشاعر القلق التى تحيط به.

والخيال فى اللغة يعنى: "تصور الشيء والظن أنه على هيئةٍ أو حالٍ معينة"، وربما أفضى بنا هذا الظن أو التصور أو العلم الحقيقى إذا ما اقترن بالشيء إلى ما يجعله يتجاوز دائرة التوهم؛ وعليه فإن عمليات الخيال تقترن بأدوات ينتج معها إبداعًا فنيًا أو إدراكًا عقليًا؛ من ثم يبتعد الخيال عن الوهم والظنون والمستحيلات، ويقترب من الإدراكات العقلية.

(عبد الرءوف أبو السعد، ٢٠٠٤، ص ٩٦)

والخيال هو القدرة على استخدام المدركات الحسية والصور الذهنية فى الإتيان بهيئاتٍ وتركيباتٍ جديدة غير مألوفة، وهذا ما ذهب إليه كثيرٌ من علماء النفس الذين تناولوا الخيال؛ حيث إنهم اتفقوا على أنه شيء من المحتمل أن يكون، وهو صياغة ترمى بطبيعة الخيال المعقدة؛ لأنها تلم بالحواس التى تتصور الشيء ليس فقط فى صورته الحقيقية؛ لكن فى صورةٍ أخرى يمكن أن يكون عليها.

(هناء عوض، ٢٠٠١، ص١٧)

وأكد ذلك المضمون (صالح أبو جادو، محمد نوفل ٢٠٠٧، ص٦٣)؛ حيث إنهما يؤكدان أن الخيال هو "إعادة تركيب الخبرات السابقة فى أنماط جديدة من التصورات الذهنية المتوفرة فى البناء المعرفى لدى الفرد عن الموضوعات والأحداث التى تجرى فى البيئة التى يعيش فيها".

واتفق معهما (على راشد، ٢٠١٠، ص٥٧) عندما أوضح أن الخيال هو "القدرة على نقل ما يوجد فى العالم من خلال مواصفات محسوسة إلى تصور جديد غير محسوس عبر قنواتٍ وأنشطة فكرية متنوعة؛ لذا يُعد الخيال من أهم أدوات الإنسان للنمو والتقدم والرقى وتحقيق ما يتمناه، فهو تصورٌ لأشياء وأحداث لم تُدرك أو تحدث من قبل، ولم تدخل فى دائرة الخبرات الماضية".

مصادر الخيال :

تتنوع المصادر التى تنمى الخيال لدى المتعلم (ثناء عبد المنعم، ٢٠٠٨، ص١٤٧)، وذلك على النحو التالى:

١- القرآن الكريم:

يتميز هذا المصدر الشريف بالثراء الفنى والموضوعى؛ فقصص القرآن الكريم تجسد كثيرًا من القيم والمبادئ الأخلاقية بما تتضمنه من ملامح فنية، وتساعد تلك القصص على إثارة الخيال لدى الأطفال لتنميته لديهم، وذلك إذا أُحسن توظيفها فكريًا وثقافيًا فى هذا المجال؛ مما يؤدى إلى إذكاء تصوراتهم واستحضار الكثير من الصور التى تنمى خيالهم.

٢- السيرة النبوية والحديث الشريف:

إن السيرة النبوية والحديث الشريف يساعدان على إثراء الخيال لدى الأطفال بما يتضمنان من أحداثٍ وبطولاتٍ مادية ومعنوية تجذب اهتماماتهم، كما يتجلى فيهما المبادئ والقيم التى تساعد على إشباع احتياجاتهم النفسية، كما أن هذين المصدرين ثريان بالحكمة والموعظة.

٣- المصادر التراثية:

تنقسم المصادر التراثية إلى نوعين يتمثلان فى: المصادر العربية الأصيلة، مثل: بعض نوادر جحا وكتاب البخلاء للجاحظ؛ على الرغم من أن تلك المصادر لم تُكتب فى الأساس للأطفال؛ لكنّ الكُتّاب حاولوا استثمارها وتبسيطها لتلك الفئة، والنوع الثانى: المصادر العربية التى دخلت إلى أدبنا القديم، مثل: كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، واستفاد كُتّاب الأطفال من النوعين فى مجال أدب الأطفال.

٤- مصادر أخرى:

تُعد الألفاظ والإشارات والأصوات والموسيقى والرسوم والألوان والمعانى وأدوات نقلها (اللغة اللفظية وغير اللفظية) مصادر لتنمية الخيال؛ فهى تثير شغف الأطفال، وتجذبهم، وتجعل عقولهم تعمل وتفكر، وتعلمهم الأخلاقيات والقيم والتذوق وتقصى أدق التفاصيل، وتنمى العوامل الابتكارية لديهم عن طريق اكتشاف العلاقات؛ ولذلك يجب مراعاة الأسس

والمواصفات الفنية والتربوية لتلك المصادر عند اختيارها؛ حتى تساعد على تنمية القدرات العقلية لأطفالنا التى تملأهم بالخيال والجمال والقيم الإنسانية.

أهمية تنمية الخيال لدى الطفل:

يؤدى الخيال إلى تنمية القدرات العقلية؛ ليكون عقل الطفل منتجًا، ذا إنجازات وإبداعات مختلفة، فهو بوابة العلم، والعمود الفقرى للتوصل إلى العديد من الاكتشافات والاختراعات، ويشغل الخيال حيزًا واسعًا من النشاط العقلى للطفل؛ حيث إن له أهمية كبيرة فى إنشاء الصور الذهنية التى تقوده إلى الفهم؛ فالطفل يستوعب المعلومات والأفكار الموجودة بالعمل الأدبى مستعينًا بمخيلته التى تصور العناصر فى تراكيب خاصة دون حاجة إلى إعادتها أو رسمها آليًا.

وعليه؛ فالخيال طريق لاستيعاب الأطفال الثقافة والأدب؛ فهو يتيح لهم تصور عوالم غير العالم الذى يعيشون فيه، وإدراك ما لا يمكن لهم إدراكه عن طريق الحواس، ويسمح لهم بالتأمل والتفكير فى الخبرات الحقيقة الواقعية من خلال خبرة التخيل القوى، وبذلك يشكل عاملًا للاستمتاع بالأدب والفنون وأنماط السلوك.

ويُعد الخيال حقيقة واقعة، والاهتمام به قديم قدم وعى الإنسان بالمعرفة؛ حيث إنه لاقى الاهتمام من الفلاسفة عبر الثقافات المختلفة؛ فقد أوضحوا أن الخيال يتصل بالإدراك والإحساس والذاكرة وحب الاستطلاع والإبداع وغيرها من العمليات العقلية والمعرفية لدى الإنسان، واهتم به علماء النفس الذين أوضحوا أهميته فى حياة الإنسان بعامة والطفل بخاصة؛ فعن طريق الخيال يستطيع الطفل تمثيل الواقع، واكتساب معانى الأشياء، وتوظيف انفعالاته، وتكوين الرموز وممارسة اللعب الرمزى والإيهامى، وإضفاء الحياة على الأشياء غير الحية، وتكوين رفاق خياليين يشاركونه فى اللعب.

(جمال الدين الشامى، ٢٠١٣، ص٤٦، ٤٧)

وقد أدّى الخيال دورًا مهمًا فى نشأة الحضارة الإنسانية، وظهور الاختراعات وأروع قصائد الشعر وأجمل الفنون والابتكارات، كما أن كل مظهرٍ من مظاهر حياتنا القائمة كان فكرة وخيالاً فى أذهان الناس قبل أن يصبح حقيقة واقعةً، ولقد شهد العالم كثيرًا من الإنجازات الحضارية بفضل ما أوتى الإنسان من قدرة على الخيال.

(عصام الطيب، ٢٠٠٦، ص٣٠)

ويأخذ الخيال الأدبى للطفل فى مرحلة الطفولة المتأخرة اتجاهًا جديدًا؛ نتيجة للتفتح العقلى الذى وصل إليه، فيصير تخيله الأدبى إبداعيًا يمكن تنميته وتوجيهه؛ مما يضيف على المؤسسة التعليمية ووسائل الإعلام عبئًا ومسئولية لتنمية هذا الخيال لديهم فى تلك المرحلة. (على راشد، ٢٠١٠، ص ٨٥).

ويلخص (على راشد، ٢٠٠٧، ص٦٩) **أهمية الخيال الأدبى للطفل فى مرحلة الطفولة المتأخرة فى الآتى:**

١- تنمية مهارة حل المشكلات.

٢- تنمية الثقافة العلمية لدى الطفل.

٣- تشجيع الأطفال على القراءة والاطلاع وإشباع حب الاستطلاع لديهم.

٤- تنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطفل؛ فهو يساعده على تقييم المعلومات وفحص الآراء.

٥- تنمية مهارات التفكير الإبداعى لدى الطفل؛ فيجعل لديه طلاقة ومرونة وأصالة فى التفكير وقدرة عالية على إدراك التفاصيل.

٦- تنمية القدرة على تصور ما ستكون عليه الأحداث فى المستقبل وكيفية الاستعداد لمواجهتها.

ومما سبق يتضح أن الخيال إحدى المَلَكَات التى تستلزم تهيئة المناخ المناسب وتوفير الإمكانات المطلوبة؛ لتنميتها لدى جميع الأطفال فى جميع المراحل؛ ليكونوا قادرين على الإبداع وبناء مستقبل أفضل فى عالم العلم والتكنولوجيا الحديثة.

المراجع:

١- ثناء عبد المنعم رجب حسن (إبريل ٢٠٠٨): أثر استراتيجية مقترحة فى التفكير البصرى على تنمية الخيال الأدبى والتعبير الإبداعى لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، دراسات فى المناهج وطرق التدريس، العدد (١٣٢).

٢- جمال الدين محمد الشامى (نوفمبر ٢٠١٣): الخيال الإبداعى وعلاقته بالأسلوب المعرفى (الاعتماد - الاستقلال) عن المجال الإدراكى لدى الفائقين والمنخفضين تحصيليًا من تلاميذ المرحلة الابتدائية، دراسات عربية فى التربية وعلم النفس، مجلة عربية إقليمية محكمة تصدرها رابطة التربويين العرب، الجزء (٣)، العدد (٤٣).

٣- صالح محمد أبو جادو، محمد بكر نوفل (٢٠٠٧): تعليم التفكير "النظرية والتطبيق" الطبعة الأولى، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

٤- عبد الرءوف أبو السعد (٢٠٠٤): الخيال العام "الخيال العلمى الأولى والخيال الأدبى الثانوى وتأسيسه لثقافة طفل واعد"، الطبعة الأولى، دمياط، مطبعة دمياط.

٥- عصام على الطيب (٢٠٠٦): أساليب التفكير "نظريات ودراسات وبحوث معاصرة"، القاهرة عالم الكتب.

٦- على راشد (٢٠٠٧): تنمية الخيال العلمى وصناعة الإبداع لدى الأطفال، الطبعة الأولى القاهرة، دار الفكر العربى.

٧- ـــــــــ (٢٠١٠): تنمية الإبداع والخيال العلمى لدى أطفال الروضة ومرحلتى الابتدائية والإعدادية، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار ديبونو للنشر والتوزيع.

٨- هناء محمد عوض (٢٠٠١): الخيال فى الرسوم وعلاقته بالإبداع لدى الجنسين من سن (٦) إلى (١٢) سنة، رسالة ماجستير، غير منشورة، علم النفس التربوى، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.